الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

الحكاية والإنجاز

بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- اسمهان سليمي
- نسيبة لبشاقي

إشراف الأستاذ:

د. مسعود خليل

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عبد العزيز جدي	أستاذ مساعد –أ–	جامعة العربي التبسي	رئيسا
مسعود خليل	أستاذ مساعد –أ–	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
محمد الطيب قواوة	أستاذ مساعد –أ–	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

لو وزن الشعر لما وجد العلماء ميزانا ولو طلب منا لمن نقدم هذا الشكر لقلنا :

بادئ ذي بدء الأمر نحمد الله عز وجل ونشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

قال تعالى : ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ **سورة النمل [19]**

وعليه نتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور الفاضل "**مسعود خليل** "، والذي طالما أفادنا ولم يبخل علينا بوقته ولا بجهده في إرشادنا وتوجيهنا طيلة فترة المذكرة.

كما نتقدم بالشكل الجزيل إلى :

اللجنة المتواضعة التي قبلت مناقشة موضوعنا، كما نتقدم بالشكر إلى كافة عمال المكتبة – قسم اللغة الأدب العربي – وإلى كل من كان عونا لنا نفسيا أكثر من علميا سواء من بعيد أو قريب.

مع تحياتنا وشكرا لكم جميعا.


مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

من المعروف أن اللغة في تطور مستمر، يواكب التطور العلمي مما يجعلها من أكثر البحوث أهمية فاللغة سلوك اجتماعي يحقق التواصل، وهذا التواصل قد يكون أحيانا بعبارات تضفي إلى المعنى، وفي أكثر الأحيان تكون بعبارات متفترة تستدعي فطنة من المتلقي لمعرفة مقاصدها، وهذه التي يسمونها المعاني التواصلية، بخلاف الأولى التي هي معاني حرفية ظاهرها كباطنها، ولما كان أكثر كلام الناس من الضرب الثاني أي التواصلي استدعى ذلك جهدا وذكاءا، بل وحياةً لماحة بين الناس، لذلك ركز بحثنا على هذه الثنائية (المعني الحرفي، المعني التواصلي)، فكان بحثنا موسوماً ب: **الحكاية والإنجاز بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية.**

وتكمن أهمية موضوعنا أننا في أغلب أحاديثنا عبارات محملة بالإنجاز وإن ظهرت في قالب خبري حكائي، فأردنا تتبع الموضوع الذي جعل أستين يغير من منهجيته وطريقته تفكيره فقد أتاح لنا تحليله منهجية لسانية جديدة، ترمي إلى جعل كل المحادثات بين الناس تقصد إنجازاً حتى في عبارات المجملات اليومية العادية؛ ومن هنا طرح بحثنا الإشكال الآتي:

- ✓ هل المعاني الحرفية كافية لتحديد أغراضنا من الكلام أم أننا في حاجة إلى تتبع المعاني التواصلية ؟
- ✓ ما هي حدود تخاطبتنا الطلبية والإنجازية ؟ تفرع عنه جملة من التساؤلات تخص الخبر والسرد القص والتقرير، الإنشاء والإنجاز التلفظ و الخطاب.

واتبع بحثنا المنهج الوصفي المشفوع للإجراء التحليلي، أما الوصف فخص مباحث الخبر والتقرير والإنشاء والإنجاز وغيرها، يقدم لها توصيفا من مختلف المراجع، وأما التحليل فخص بعض الدقائق وخاصة التي يلتبس فيها الإنشاء بالخبر والإنجاز بالحكاية، ولا يدرك ذلك إلا بتفكيك الخطاب وتتبع مقاصده .

واتبع البحث خطة مكونة من فصلين:

وجنح هذا الفصل إلى تتبع المعاني التواصلية الخفية والتي هي مدار هذا البحث

كما تناولنا في الفصل الأول المعنون بثنائية الحكاية والإنجاز في المعنى الحرفي تطلب الأمر إلى تقسيمه إلى قسمين فالقسم الأول الموسوم بالحكاية في المعنى الحرفي، حيث تضمن التعاريفات التالية: "الحكاية، الخبر، السرد، القص، التقرير، الملفوظ والنص" أما القسم الثاني أدرج تحت عنوان الإنجاز في المعنى الحرفي وترتب عنه التعريفات التالية: "الإنشاء، الإنجاز، التلفظ والخطاب".

ثم يليه الفصل الثاني الموسوم بثنائية الحكاية والإنجاز في المعنى التواصلي كما قسم هذا الأخير إلى شطرين، فالشطر الأول الحكاية في المعنى التواصلي الذي حوى "المعنى التواصلي في البلاغة العربية، جملة ظاهرها حكاية وباطنها إنجاز وجملة ظاهرها حكاية وباطنها طلب" ، أما بالنسبة للشطر الثاني فعنون بالإنجاز في المعنى التواصلي، حيث تضمن عنصرين: "في ظاهره إنجاز وباطنه طلب وفي ظاهر إنجاز وباطنه حكاية".

ثم تأتي الخاتمة لتلخص أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

ودفعنا إلى اختيار هذا الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وأما الذاتية فحبنا لمعرفة هذه الطبيعة الإنسانية التي تروم التلميح وتترك الكلام المباشر القريب، وخاصة أن هذا الكلام يلامس حياتنا وحياة كل إنسان؛ أما الموضوعية فإرادتنا النظر العلمي في هذا المبحث اللغوي التي اشتركت فيه المقولات التداولية الحديثة لمقولات البلاغة العربية في قرونها الأولى وللنظر في الأفكار المشتركة بين هذين العلمين على اختلاف اللغة وتباعد القرون.

ولم نكد نقف على بحث سابق درس ثنائية الحكاية والإنجاز في سفر مستقل أو أطروحة أو رسالة، ولكنا عثرنا أشتات متفرقة وصفحات قليلة في بطون المراجع، فحاولنا أن نلم شتاتها ونشيد من خلالها هذا البحث الذي قد يكون فيه معونة لطلبة العلم من بعدنا.

وإن كان من إضافة في بحثنا فإنه تتمثل في أمرين الأول التنبيه إلى قيمة هذه الثنائية (الحكاية والإنجاز) في الدرس اللغوي والثاني ضرب الأمثلة الكثيرة المبينة.

ولما كان بحثنا ذكرا في ميدانه فإن ذلك ما كوّن لنا في أننا لم نجد مثال سابق نحتذيه أو نموذجاً يآنسنا في رحلة بحثنا، ومع ذلك فلقد يسر الله لنا تقديم هذه الصفحات نحمده

ونشكره على ما يسر، ثم نتوجه بجزيل الشكر للعرفان والامتنان إلى أستاذنا الفاضل **خليل مسعود** الذي تفضل بتأطير هذه البحث ووجهنا بنصائحه وإرشاداته وجعله الله في ميزان حسناته، وكذلك نشكر كل من قدم لنا يدا في سبيل إنجاز هذا البحث.



الفصل الأول:

ثنائية الحكاية والإنجاز في المعنى الحرفي

أولا: الحكاية في المعنى الحرفي:

يشكل بحثنا اليوم قطبا تنجذب إليه اللسانيات التداولية والبلاغة العربية، كون اللغة مادة مهمة هدفها الأساسي التواصل حيث يقول **رومان جاكبسون:** "أن اللغة هي التنظيم الأساسي لإقامة الاتصال... وعندما نتحدث عن اللغة كأداة لتواصل يجب أن نتذكر أن علينا أن نظيف إلى مهمتها الأولى – التي هي الاتصال بين الأفراد متخطية المسافات – مهمة لا تقل أهمية عن الأولى يمكن تسميتها الاتصال الداخلي"[1].

لقد بين لنا **رومان جاكبسون** أن اللغة هي تنظيم أساسي لإقامة الاتصال بين الأفراد، والاتصال يكون باللغة المتداولة بين الناس، وقد يكون اتصالا داخليا يضفي به صاحب الحاجة عندما تتخرج اللغة عن تبليغ المراد، وأن يكون هناك تبادل الأحاديث التي تحقق المنافع.

وتعد ظاهر التواصل هي ظاهرة معقدة تستلزم حضور طرفين **المرسل والمرسل إليه،** لتوصيل وتبادل الأفكار والمعلومات بينهما إما بالكلام أو الكتابة أو بالإشارات، وحضور الشخص يساهم في عملية التواصل، وذلك عن طريق مشاركة الحديث أو اتخاذ قرار، أو تبادل الأفكار والمعلومات وهذه الخصائص تؤدي إلى ربط العلاقات الاجتماعية كون الإنسان هو مركز التواصل الذي يحقق بها منافع منها ما هو قريب يعبر عنه باللفظ القليل ذي المعني السهل الذي يتبادر إلى الذهن أي لتوصيل فكرة ما علينا التعبير عن الحاجة المطلوبة من قبل المرسل والطرف المعني بالرسالة والمراد منه فهم محتوى الرسالة بطريقة مباشرة دون تلميح، ومنها ما يحتم على الإنسان لغة مضمنة متسترة، تجعل من المتلقي مبدعا في إنشاء الرسالة أي أن المرسل عليه إنشاء رسالة تكون في ظاهرها عادية ولكنها في الحقيقة هي تلميح لشيء ما، وعلى المتلقي أن يفكك تلك الكلمات ويستوجب تفكيكها

[1] - Roman Jacobson : linguistique et communication, page 107.

تفكيكا ذكيا من طرف المتلقي كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة فصلت الآية (40).

ولقد فسرت في تفسير الجالين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ من ألحد ولحد ﴿ فِي آيَاتِنَا ﴾ القرآن بالتكذيب ﴿ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ فنجازيهم ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديدا لهم[1].

هذه الآية ليست كما تبدو في ظاهرها اعملوا ما تشاؤون بل هو يقصد به بل هو يقصد به تهديد أو إنذار لعلهم يعقلون ما يفعلون.

ولقد اهتمت كل الدراسات اللغوية العربية والغربية، القديمة والحديثة والبلاغية والتداولية بدراسة اللغة وبذلت جهود كبيرة في دراسة هذه الأنماط من الكلام لأنها دراسة إنسانية بالدرجة الأولى، فنجد كل من البلاغيين والتداوليين قاموا بدراسة اللغة واهتموا بها اهتماما كبيرا ولعل هذه اللطائف الإنسانية هي التي جعلت أوستين يقدم هذه المباحث التداولية حيث أنه كان فيلسوف يبحث في الإنسانيات وعلاقة اللغة بالفكر، فصادف أن لاحظ أن كثيرا من أحاديث الناس وخطابتهم، وإن ظهر أنها خطابات عادية مألوفة مكررة، إلا أنها في مجملها تكون إنجازا، فهي إذن إنجازية، في صور إخبارية شتى، وبذلك وصل إلى حقيقة أن الخطابات التي يتبادلها الناس في مجتمعه كلها إنجاز أي علاقة المجتمع ببعضه وحديثه مع غير كله إنجازا مثلا حديثي مع الأستاذ هناك هدف للكلام معه هو أخذ معلومات من عنده لا يكون حديث دون سبب وغيره من الأمثلة اليومية غير المنتهية وبذلك تكتشف أن كل حديثنا إنجازا.

1 جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المنجلي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الإمامين الجليلين، دار ابن كثير، ج 24، ص 481.

لا نقصد بحثنا بالحكاية ما يرمي إليه المصطلح من دلالة على جنس من الأجناس الأدبية كالرواية، وإنما المقصود الحكاية التي يقابلها الفعل والإنجاز، وأسلوب الحكاية إخبارٌ يقابله العمل والإنشاء الطلبي بتعبير البلاغيين العرب لذلك اختار البحث هذه الثنائية "**الحكاية والإنجاز**" ليدل بالأولى على السرد والخبر والتقرير، ويدل بالثانية على الإنشاء وتحقيق العمل مع القول، ومن هذا الصنف الثاني سمي كتابه "عندما يعني القول الفعل"

فالكلام إذا قسمان قسم يقصد به سرد الحكاية عن أحداث منضت ومن هذا القبيل القصُّ والتقرير، ويشبهه بنوع ما من المشابهة ما سمته اللسانيات الفرنسية الملفوظ وما سماه النص عند الذين فرقو بين الخطاب والنص، لذلك البحث سيحاول رصد حدود كل مصطلح من هذه المصطلحات التي تكون في مجملها الجانب الأول من هذه الثنائية التي إختراها بحثنا بالدراسة، أي الحكاية.

1- تعريف الحكاية:

أ- لغة:

الحكاية في اللغة أي أن يفعل مثل فعله، ومنه ذكر الكلام من الفعل حكى حكاية، على الزنة فِعالة، وجمعها حكايات، ومن معانيها ذكر الأخبار والسرود وتقديم القصص وتاريخ السابقين.

كما ورد في لسان العرب حكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وحاكيت عند الحديث حكاية. ابن سيدة وحكوت عند الحديث في معنى حكيته وفي الحديث: ما سرني أنني حاكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا أي فعلت مثل فعله. يقال حكاه وحاكاه وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة المتشابهة[1].

ب- اصطلاحا:

الحكاية في الاصطلاح لها معنيان، الأول منهما ما يتبادر إلى أغلب الأذهان، ويعني القصة والقطعة من التاريخ، أي ذكر قصص السابقين وأخبارهم، وذكر قصص المحدثين ويدخل فيه النسج على المنوال في سرد قصص متخيلة، وقد ورد في حد الحكاية في هذا المعنى: كما ورد في عند الشريف الجرجاني: "عبارة عن نقل كلمة من موضع إلى موضع آخر بلا تغير حركة ولا تبديل صيغة وقيل الحكاية إتيان اللفظ على ما كان عليه من قبل"[2]، كما ورد مصطلح الحكاية في كتاب الحكاية الشعبية أنها: "قصة قصيرة معروفة وتكون أحيانا حقيقة وأحيانا أخرى خيالية وعجيبة[3]".

1 ابن منظور، لسان العرب، م2، ص 954.

2 علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، 2000، 96.

3 توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2013، ص13.

وأما المعنى الثاني –وهو المقصود في بحثنا– فيتعلق بعملية الحكي وما يستتبعها من سرد وتقرير وإخبار أي الحكي الذي يقابله الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني، فالحكي في هذا المعنى هو الإخبار، والحكاية المقصودة في حديثنا هي الخبر وليست الحكاية التي هي قصة سرد تاريخي وإن كان ذلك في متضمناتها.

2- تعريف الخبر:

أ- لغة:

يعد الخبر من أهم المواضيع التي جعلت العرب قديما من بين إنشغالتهم، بسبب تتبع أخبار الأمم التي سبقتها وهي تعد مادة للسمر والموانسة وقد صنفوا مؤلفات لهذا الغرض ولقد عرفه العلامة مجد الدين الفيروزبادي بقوله: " **الخَبَرُ** محركة: النبأ ج:أخبار جج: أخابير والرجل خابرو خبيرو خُبْرُ، ككتف وجُحْرٍ: عالم به، وأخبره خبورة أنبأه ما عنده والخبْرُ والخِبْرَة بكسرهما وبضمان والمخْبَرَةُ والمخْبُرة: العلم بالشيء، كإختيارٍ والتخبُرُ"[1] وجاء في معجم الوسيط أن " **الخَبرُ** ما ينقل ويحدث به قولا أ وكتابةٌ، وقول يحتمل الصدق والكذب لذاته (ج) أخبار (جج) أخابير"[2].

كما ورد أيضا في لسان العرب " **الخبير**: والخبر بالتحريك واحد الأخبار، والخبر ما أتاك من نبإٍ[3]، وقد وردت مادة خبر القرآن الكريم، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ سورة الكهف الآية 68.

1 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، قاموس المحيط، مكتب التحقيق التراث في المؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص 381.

2- إبراهيم مصطفى، وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، ص 215.

3- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج5، ص 10.

الخبر بضم الخاء وسكون الباء: العلم "[1]، الخُبْر بالضم والتسكين أخو الخبر بالتحريك.

يتبين لنا من خلال التعريفات في المعاجم العربية فيما يخص الخبر بأنه هو الإخبار والنبأ والعلم بالشيء.

ب – اصطلاحا:

في ضوء هذه الدراسات نجد البلاغيين والعلماء العرب والباحثين يوجهون عناية خاصة بالمسائل البلاغية، التي دفعت العلماء منذ القديم إلى دراسة الأساليب الخبرية، وقد نتج عن دراسة الباحثين أن قسموا الكلام إلى خبري وإنشائي، ونستعرض الآن الأسلوب الخبري ونكشف أسراره البلاغية.

كما يقر عبد القاهر أن الخبر لا يصدر إلا عن مخبرٍ، وأن هذا هو الذي يتصف بالصدق أو الكذب، وهذا ما تدرجت عليه كتب البلاغة في الأسلوب الخبري، فنجد قول الإمام الجرجاني: :لا يتصور أن يكون خَبَرٌ حتى يكون له مخْبرٌ يصدر عنه ويحصل من جهته، ويكون له نسبة إليه، وتعود التبعة فيه عليه، فيكون هو الموصوف بالصدق إذا كان صادقا وبالكذب إن كان كذبا"[2].

وثمة تعريف آخر ذكره الإمام السكاكي في حدود الخبر: "الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب "[3].

1– ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية لنشر، تونس، 1984، ج 15، ص 372.

2 عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز ف علم المعاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003، ص 487.

3 أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 252.

يتضح من خلال هذا التعريف أن الخبر هو الذي يقال لصاحبه أنت صادق، أنت كاذب.

نستخلص من خلال هذين التعريفين أن الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب ويسمى كلاما خبريا.

وقد أدرج بحثنا الحديث في الخبر في القسم الخاص بالحكاية، لأنه – غالبا – لا يروم تحقيق عمل ما، إما جاء بسبيل سرد وحكاية أو وصف وتقرير دون أن نغفل أن الخبر قد يرد ويراد من خلاله تحقيق عمل، فتخالف بذلك صورته حقيقتة، والضابط في معرفة ذلك معنى الكلام عامة والسياق الوارد فيه.

3- تعريف السرد:

أ- لغة:

أجمعت المعاجم العربية على أن السرد في اللغة هو التتابع والاستعجال، ومن بينها معجم لسان العرب لابن منظور حيث يبين أن السرد في مفهومه اللغوي هو: "تقدمه شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا سرد الحديث ونحوه يسرده سردا، إذا تابعه، فلان يسرد الحديث سردا إذا كان السباق له، وفي صفة كلامه – صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه"[1].

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن السرد يشير إلى صفة التي يمتاز بها القول وهي التتابع بين أجزاء الكلام، وسرد القرآن تابع قراءته من حدر منه، و**السرد:** المتتابع و**سرد** فلان الصوم إذا والاه تابعه، ومنه الحديث: كان يسرد الصوم سردا وفي الحديث أن

1 ابن منظور، لسان العرب، ج7، 165.

رجلا قال لرسول صلى الله عليه وسلم: إني أسرد الصيام في الصيام في السفر، فقال: إن شئت فصم وإن شئت فأفطر "[1].

وقد أضافا ابن منظور شروحا لبعض الاشتقاقات منها **السراد، والمسراد، المسرد، المسيرد،** ونجده أيضا عند الخليل بن أحمد الفراهدي أن: " **السرد** سرد القراءة والحديث **سيرده سردا** أي يتابع بعضه بعضا والسرد: إسم جامع للدروع ونحوها من عمل الخلق، وسمى سردا لأنه يسرد فيثقب طرفا "[2].

ومن خلال التعريف يمكننا القول أن السرد هو النتائج واستعجال الحديث.

ب- اصطلاحا:

يعتبر السرد من مهام السرديات التي تبحث في الكيفية التي يوصل بها القاص مضمون الحكاية، حيث يحدث أن الحكاية الواحدة يمكن أن تسرد بأشكال مختلفة، وورد مفهوم السرد اصطلاحا عند " **فان ديك** " أنه: وصف أفعال، يلتمس فيه لكل موصوف فاعلا وقصدا وحالة وعالما ممكنا وتبدلا وغاية، فضلا عن الحالات الذهنية والشعورية والظروف المتصلة بها، فالتنافر قائم بين عملتي الإرسال والتلقي، لأن السلسلة اللفظية المشفرة التي يرسلها المؤلف، ويقوم المتلقي بحلها في ضوء السياق الثقافي"[3]، أما عند جونات " فتناول هذا المصطلح في قسم ثالث من أقسام الخطاب القصصي، سماه، صوتا، ويعني الصوت السردي القائم بفعل السرد، فلئن تناول في القسمين الأولين الملفوظ القصصي زمنا وصيغة،

1 نفسه، 165.

2 الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003 ، ص 235.

3 عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص 13.

فإنه خصص هذا القسم لتناول مسألة التلفظ الذي أوجد الملفوظ المذكور، فالسرد من هذه الناحية هو النشاط السردي الذي يصطلح بها الراوي حكاية ويصوغ الخطاب الناقل لها "[1].

يتبين لنا السرد من عناصر الرواية أو القصة الضرورية لتصوير الحدث ونعني تحويل المشهد الواقعي من صورته المألوفة إلى الألفاظ والأفعال والصفات التي ينتقيها الكاتب للتعبير عن المعني المراد بدقة.

4- تعريف القص:

أ- لغة:

لقد اتضح لنا أن السرد له مجموعة من المصطلحات دالة عليه وتقاربه في المفهوم ومن أهم هذه المصطلحات نجد القص، التقرير وغيرها:

يعرف الخليل بن أحمد الفراهيدي " **قصص القص:** قص الشاة وهو (مشاة) مشاش صدرها المغرورة فيه شراسيف الأضلاع، وهو القصص أيضا، وقصصت الشعر، أي بالمقراض قصا، ... والقاص يقصُ القصص قصا، والقصة معروضة، ويقال في رأسه قصة أي جملة من الكلام ونحوه"[2]، ويعرف الزازي أيضا: "**القصة** تعني السرد والإخبار، وهما يقومان على إتباع الخبر بعضه بعضا وسوق الكلام شيئا فشيئا، حتى تكتمل روايته، والقاص هو الذي يروي هذه القصص ويحكيها على وجهها، فالاسم منه (القصص) – بفتح القاف – وضع موضع المصدر (قص يقص قصصا) حتى صار أغلب عليه، فسمي به"[3].

1 محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 243.

2 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص 395.

3 محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، باب قصص دار المعارف، مصر، ص 237.

أما في مقاييس اللغة: قص – القاف والصاد– أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته... ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر"[1]، كما قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ سورة يوسف الآية 3 أي نحن نحدثك يا محمد ونروي لك أخبار الأمم السابقة، بأصدق كلام، وبأحسن بيان"[2].

من خلال التعريفات أعلاه نستخلص أن القص بمعنى الإخبار والرواية، وهو المعنى الأقرب لمفهوم القصة.

ب– اصطلاحا:

أما اصطلاحا فالقصة فن أدبي قائم بذاته وهي حكاية نثرية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معا وتبني على قواعد معينة من فن كتابي فيعرفها أبو هلال العسكري: "القص: مصدر الفعل قص، يقص، ومن معاني القصص في لسان العرب الخبر هو القصص، والقص على قصصه يقصه قصا وقصصا: أورده والقصص بالفتح الخبر المقصوص، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ونقص عليك أحسن القصص تبين لك أحسن البيان، وتقصص الخبر أثره ... وورد المصلطح في نصوص كثيرة قديمة وحديثة، كما نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الأعراف الآية 176[3]، أي: لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام، وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه"[4]، أما في معجم السرديات "قص يدخل هذا المصطلح في قسم الصيغة من أقسام دراسة الخطاب القصصي

1 أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص11.

2 محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج 24، م2، ص 41.

3 أبو هلال العسكري، فوق اللغة، منشورات، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979، ص 33.

4 أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، ج7، ص 323.

يذكر " جونات " أن أصل هذا المصطلح بحسب التعريف الأفلاطوني هو السرد المحض الذي تكون فيه للراوي سلطة القول وهو سرد مباين لقص الأقوال الذي هو أرقى شكل تتجسد فيه المحاكاة بما هي تمثيل لكلام الشخصيات تتكلم دون وساطة الراوي"[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن معنى القص لا يبتعد كثير عن معنى السرد والإخبار فكل هذه المصطلحات تصب في معنى واحد وهو الإخبار.

إذن السرد والقص كلاهما مما عرفت به القصة في جميع أنماطها، كما نجد السرد والقص في المباحث التاريخية التي تحكي أخبار القرون الخالية، لكن بحثنا يروم الحديث عن السرد والقص بوصفهما نمطين من أنماط القول الإخباري الذي يبعد عن الطلب ومضة الإنجاز.

حيث يعد أسلوب السرد والقص – غالبا – ما يحكياني بالزمن الماضي، لأنهما يخبران عن حدث وقع وانتهى أمره ولم يبقى منه إلا العبرة التي يستخلصها الكاتب والمؤرخون، لكن المبدعين قد يراوحون بين الزمن الماضي والحال والاستقبال في رصدهم وقصهم، بل إننا نقرأ لبعض المؤرخين قطع من تاريخ الإنساني يعمدون في بعض جوانبها إلى الأمر والنهي والدعاء، أي إلى الطلب عامة.

5- تعريف التقرير:

أ- لغة:

إن المعاجم العربية هي ثروة من الثروات اللغوية، فهي تحتوي على مصطلحات لا تحصى ولا تعد ومن هذه المصطلحات التقرير حيث عرفه ابن منطور بأنه: "قررت الكلام في أذنه أقره قرا، وهو أن تضع فاك على أذنه فتجهر بكلامك كما يفعل بالأصم، والأمر:

1 محمد قاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 320.

قر. ويقال: أقررت الكلام لفلان إقرارا أي بينته حتى عرفه... القر: ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه... وتقرير الإنسان بالشيء: جعله في قراره، وقررت عنده الخبر حتى استقر[1].

من خلال تطرقنا للتعريف بالتقرير لغة يتضح لنا أنه هو الجهر بالكلام وإعلانه.

ب – اصطلاحا:

يعد التقرير وسيلة من وسائل توصيل المعلومات والأفكار فنجده معرف على النحو التالي:

التقرير هو "عرض كتابي للحقائق والبيانات الخاصة بموضوع ما أو مشكلة معينة وقد يمتد إلى التحليل العلمي واستخلاص النتائج، ويليها التوصل إلى توصيات ومقترحات تتعلق بهذا الموضوع، أو تلك المشكلة أو هو نوع من الكتابة يحتوي بعض الحقائق والمعلومات حول شخص معين أو حالة مدنية، أو موضوع، استناد إلى طلب محدد أو غرض مقصود"[2].

فالتقرير هو لون من ألوان الكتابة الوظيفية يتضمن وصف مفصل أو مجمل لقضية أو حالة معينة، أوهو نوع من الكتابة الوظيفية يتضمن جمع قدر من الحقائق والمعلومات حول حالة أو شأن معين بناء علىطلب محدد أو غرض مقصود "[3].

إذن التقرير هو عرض مختصر لمعلومات وبيانات تتعلق بقضية ما، بالإضافة إلى توصيات واقتراحات.

1 ابن منظور، لسان العرب، م12، ص 63.

2 ماهر شعبان عبد الباري، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2010، ص 84.

3 نفسه، ص 85.

والتقرير بعده رديفا للخبر يعني ما يقدمه الملقي – (قائلا أو كتابا) من نبذ للإخبار بصورة وصفية، وقد يتخللها التحليل والتعليل، أي أن التقرير بهذا المعنى مقابل للإنجاز المتلبس بإصدار وعود أو أحكام، لذلك نجده يقول القاص المؤرخ يقرر بينما يكون دور الفعل والإنجاز من المتلقي بحسب موقعه وقدراته واستعدادته أي بحسب ما يملكه من قدرة إنجازية تبدأ بتأثر قلبي، الذي يتحول إلى حب وولاء أو كره أو عداء، ثم ما يناسب هذا الولاء والعداء من فعل تستقيم به حركة الحياة والتي لخصها الشارع في ثلاثة: **العبادة والعمارة والتزكية**، عبادة الله وعمارة الأرض وتزكية النفس، وكل واحدة من هذه الثلاثة لا ينهض بها إلا تدافع كبير من الإنجاز.

6- تعريف التلفظ والملفوظ:

أ- لغة:

التلفظ والملفوظ من مادة اللغوية **لفظ** وتعني "اللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ الشيء يقال **لفظت** الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته، وذلك الشيء **لفاظة:** قال إمرؤا القيس يصف حمارا:

يوارد مجهولات كل خميلة

يمح لفاظ البقل في كل مشرب

قال بن بري: واسم ذلك الملفوظ **لفاظة ولفظ ولفيظ ولفظ** عند ابن سيده: **لفظ** الشيء بالشيء ويلفظ لفظا، فهو ملفوظ ولضبط: رمى ولدينا لافظة تلفظ بمن فيها إلى الآخرة أي ترمى

بهم"[1]، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ سورة ق الآية 18، وقوله يلفظ من اللفظ أي "اللفظ، النطق بالكلمة دالة على معنى، ولو جزء، معنى "[2].

ومن هذه المعاني اللغوية جاءت دلالة اللفظ والتلفظ والملفوظ في النطق بالكلام.

ب – اصطلاحا:

أما اصطلاحا فإن تحديد معنى الملفوظ أصبح بحث تنجذب إليه اللسانيات وأصبح الملفوظ موضوع لعدد من البحوث المتعددة وأصبحت الدراسات المتعلقة بالملفوظية متعددة الدلالات التي تفرض علينا معرفة الملفوظ الذي هو: "**الملفوظ:** جملة محققة حسب **جون ليونز J–Lyons.**

الملفوظ: وحدة نصية، تتابع بنيوي من الجمل في اللغة أو الكلام.

الملفوظ: تتابع من الجمل المحققة حسب **جون ديبوا** "[3].

أي أن الملفوظ هو متعدد الدلالات فعند جون ليونز هو جملة محققة أما عند جون ديبوا فهو تتابع في الجمل المحققة وهو أيضا وحدة نصية (في اللغة أو في الكلام).

"ففي مجموعة هذه المصطلحات يجب الوقوف عند الحدود الفاصلة بين الملفوظ والتلفظ وذلك ابتداء من اللحظة التي يقف عندها التلفظ على أن يكون فعلا لإنتاج الملفوظ"[4].

1 ابن منظور، لسان العرب، 13 / 217.

2 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج 26، 303.

3 ذهبية حمو الحاج، اللسانيات، التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 85.

4 نفسه، ص 85.

من خلال هذا القول يتبين لنا أن الحدود الفاصلة بين التلفظ والملفوظ، هي اللحظة التي تتم فيها عملية التكلم فكل تلفظ يؤول إلى الملفوظ بمجرد إتمام نطقه، وحين يستحيل ملفوظا يدخل في دائرة السرد والحكاية، كأن يقال مثلا لقد قلت كذا وكذا أو قال فلان كذا وكذا، فكل هذا من قبيل الخبر الذي يحكى في الغالب الأعم في صيغ الماضي.

7- تعريف النص:

أ- لغة:

إن تتبع لكلمة النص في المعاجم اللغوية العربية يلاحظ كثرة الدلالات التي ترتبط بها، فقد جاء عند **ابن منظور** نصص، **النص:** رفعك الشيء.

نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل من أظهر، فقد **نص** وقال عمر بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع وأسند يقال **نص** الحديث إلى فلان أي أرفعه، وكذلك نصصته إليه"[1]، ونجد أيضا تعريفه عند الزمخشري حيث يقول: "**نصص** الماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة وهي تنتص عليها أي ترفعها، وأنتص السنام: ارتفع وانتصب"[2].

كما نجد مفهوم النص في مقاييس اللغة " **نص** النون والصاد أصل صحيح يدل على ترقيع ارتفاع والانتهاء لشيء، منه قولهم نص يدل على ترقيع وارتفاع وانتهاء في الشيء، منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه والنص في السير رفعه يقال – تصتصت ناقتي – نص ونصص"[3].

1 ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص 271.

2 محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 455.

3 الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 5، ص 356.

من خلال تطرقنا لمفهوم النص لغة تبين أن دلالته تدور حول الرفع والإظهار والإنصاب وبلوغ المنتهى.

ب – اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد اتسعت المنابع التي استقى منها النص مفاهيمه وتصوراته ومناهجه، ولا نستطيع فهم طبيعة الرسالة التي يتضمنها النص إلا بتحليل المعطيات والقيام بعملية النص التي تتطلب وقت وجهدا، وذلك لأن المنطلقات الفكرية تتعدد وتختلف في دراسة النص، سنقصد حديثنا عن بعض التعريفات للنص اصطلاحا.

عند الأصوليين كما يعرفه **محمد محمود** "النص لا يحتمل إلى معنى واحد أو ما يحتمل التأويل"[1]. أما عند النحويين واللغويين العرب فالنص عندهم: "الشاهد هو القائل موثوق بعربية للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي"[2].

ونجد النص عند اللغويين والنحويين هو الشاهد الذي يكون إما بآية قرآنية أو حديث نبوي أو بيتا شعريا أو قول سائر.

وأيضا يعرف النص عند الغرب لما له من مفاهيم عديدة بالمناهج النقدية المختلفة التي ظهرت في القرن العشرين من بين التعريفات تعريف **جوليا كريستيفا:** "أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذا أنه موضوع لعديد من الممارسة السيميولوجية التي يعتد بها على

1محمد محمود، تدريس الأدب الإستراتيجي القراءة والإقراء، منشورات دايداكتيكية، دار البيضاء، المغرب، 1993، ص 25.

2 الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص24.

أساس أنها ظاهرة غير لغوية بمعنى مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها"[1].

وهذا يعني أن النص له قابلية للاحتمالات المنهجية التي يمكنها أن تستنطقه وتخرج دلالته، وبذلك أصبح النص الأدبي في حالة إنتاج الدلالات بشكل لا نهائي.

إذن النص مقابل للخطاب، ويتميز بالسكون والثبات بخلاف حركية الخطاب، أما متلقيه فؤجل في الزمان والمكان وخلوه من الملبسات المحيطة بالخطاب، يجعله أكثر سكونا ولذلك يعده البحث أقرب للخبر والسرد والحكاية، دون أن يعنى هذا أنه لا إنجاز فيه.

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتب المصري، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط2، 2004، ص264.

ثانيا:الإنجاز في المعنى الحرفي:

1- تعريف الإنشاء:

أ- لغة:

لقد اهتم العرب قديما بالمعاجم العربية وحاولوا أن يجمعوا أكبر عدد ممكن من المادة اللغوية ومن بين هذه المصطلحات **أنشأ**، الذي عرفه **ابن منظور**: "**نشأ**: أنشأه الله: خلقه – **ونشأ ينشأ نشأ ونشوءا ونشاءا ونشأة ونشاءة:** حي، وأنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم– وفي تنزيل العزيز أن عليه النشأة الأخرى، أي البعثة"[1].

ونجد تعريفه أيضا عند **الزمخشري** " **ن ش أ** – أنشأ الله تعالى الخلق فنشأوا، "وننشئهم النشأة الأخرى" وأنشأ حديثا وشعرا وعمارة وأستنشأته قصيدة في الزهد فأنشأها لي وأنشأ يفعل كذا "[2].

أما عند **عبد القادر الرازي** " **ن ش أ** " (**أنشأه**) الله خلقه والاسم (النشاءة والنشاءه) بالمد أيضا، و(أنشأ) يفعل كذا أن ابتدأ و(نشأ) في بني فلان شب فيهم وبابه قطع وخضع، و(نشئ تنشئة) و (أنشئ) بمعنى"[3].

لقد تبين لنا من خلال هذه التعريفات الثلاثة أن المادة اللغوية أنشأ تدور حول معني الخلق والإيحاء والابتداء.

1 ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص 252.

2 محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، بيروت، ط1، 1996، ص 452.

3 عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب الحديث، دولة الكويت، ط1، سنة 1993، ص 620.

ب – اصطلاحا:

أما الأسلوب الإنشائي والذي هو مركز بحثنا فتبين معانيه الحقيقة والبلاغية وليتسنى لنا القدرة علي التمييز بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي:

الإنشاء هو: "ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا "[1]؛ مثلا قولك: (أكتب يا علي) في هذا المثال لا يصح أن يقال لصاحبه صدقت أو كذبت.

أما عند عبد السلام هارون فيعرفه أنه: " إن كل كلام بخلاف ذلك أي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ولا يصح، أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، لعدم تحقيق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق وسمى كلاما إنشائيا"[2]، ويعرفه أيضا إنعام فوال عكاوي: "هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"[3].

يتبين لنا أن الإنشاء هو ما لا نستطيع أن نحكم عليه أنه صادق أو كاذب إضافة على ذلك يتضح لنا أن الإنشاء أسلوب كلامي لا نستطيع الحكم على صاحبه على أنه صادق أو كاذب نظرا لأن كلامه لا يحتمل الصدق أو الكذب فيسمى أسلوبا إنشائيا.

فيكمن ارتباط الإنشاء (في جانبه الطلبي) بالانجاز لأنه يحقق عملا ما، فيكون صيغة الأمر أو النهي أو التمني مما يحدث في النفس تأثيرا قد يصبح إنجازا ويعتمد ذلك على الكلام بصفة عامة والصيغة والأسلوب والسياق بطريقة خاصة ...

1 فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، لنشر وتوزيع، عمان، ط7، 2000، ص 151.

2 عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، الناشر مكتبة الخارجي، بالقاهرة، ط5، ص 13.

3 إنعام فوال عكاوي، معجم المفضل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 236.

2- تعريف الإنجاز:

أ - لغة:

نقر بداية بأن التحرك وراء أي مصطلح يقتضي علينا التطرف إلى أبواب المعاجم للإحاطة بالمنطلقات الأساسية التي عن طريقها يمكن تحسس إيصاله باستعمالات اللغوية عموما

وبذلك نجد تعريف الإنجاز عند ابن منظور في قوله: "**نجز** ونجز الكلام وانقطع **ونجز** الوعد ينجز نجزا حصر، وقد يقال: نجز، قال ابن السكيت: كأن **نجز** وإنقضى، أنا ونجزت به ونجز هو أي وفى به، وهو مثل قولك حضرت المائدة ونجز الحاجة وأنجزها: قصاها، وأنت على نجز حاجتك ونجزها بفتح النون وضمها، أي على شرف من قضائها"[1].

كما ورد في أساس البلاغة أن الإنجاز هو: "**نجز** وعده إنجازا ونجز الوعد، وهو ناجز إذا حصل وتم، ومنه نجز الكتاب، ونجزت حاجته، وأنت على نجز حاجتك ونجزها"[2].

إذن يعد الإنجاز من بين الموضوعات التي درسها علماء الدلالة والباحثون ولقد اتضح لنا من خلال المعجمين أن الإنجاز من الجانب اللغوي هو الوفاء بالعمل والتحقيق وإنفاذه.

ب- اصطلاحا:

أما الإنجاز في الاصطلاح فنحن نشير أن بحثنا لا يعنيه - بصورة مباشرة - الإنجاز الذي تتحدث فيه التوليدية التحويلية، والذي تكلمت فيه الوظيفية، لأن ذلك الإنجاز عند أولئك تعني القدرة على الكلام إلى واقع كلامي ملفوظ أو مكتوب، وبهذا المعنى تكون الحكاية والإنجاز - بالمعنى التداولي - عندهم سواء.

1 ابن منظور، لسان العرب،ج 4، ص 198.

2 أبو القاسم الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص 251.

إذ يعد مفهوم الفعل الكلامي **Speech act** نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا على ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية **Actes docutoires** لتحقيق أغراض إنجازية **Actes illocutoires** (كالطلب والوعيد ... إلخ)، وغايات تأثرية **Actes perlacutoires** تخص ردود فعل المتلقي (**القبول كالرفض**). ومن ثم فهو يطمح إلى يكون ذات تأثير في المخاطب، اجتماعيا أمؤسساتيا، وثم إنجاز شيء ما"[1].

الفعل الكلامي ما تبنى عليه الأعمال فهو نشاط كلامي دلالي تأثيري تبليغي إنجازي للوصول إلى أهداف مرجوة لتحقيق تأثير في المخاطب من خلال الصيغ الكلامية مع مراعاة الظروف والصيغ والأسلوب لما يحدث تأثير في المتلقي ومن ثم الوصول إلى المنشود، ويرى الفيلسوف الإنجيليزي ج.ل أوستين "أن الوظيفة الأساسية للغة غير كامنة أساسا في إيصال المعلومات والتعبير عن كوامن النفس، بقدر ما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال إلى أفعال إذا صدرت ضمن مقام يسمح بذلك فهو ينطلق في تفسير نظريته تلك من انتقاد الفكرة السابقة التي تعتبر أن كل الأقوال يمكن إخضاعها لمعيار الخطأ والصواب، ويرى نتيجة لذلك، أن هناك أساليب وتعابير لغوية لا يمكن وصفها بأنها خاطئة أو صائبة، بل إننا "[2].

حينما نتلفظ بها نكون قد أنجزنا في الوقت نفسه، فعلا اجتماعيا، سماه أوسيني بالفعل الكلامي **Speech acts**، فحينما يقول القاضي فتحت الجلسة، يتم فتح الجلسة حيث يدافع فيها المحامي على وكيله ووكيل الجمهورية على القانون والضحايا، وحينما يتلفظ بالحكم في حق المتهم، سيكون لذلك تأثير على ما سيحدث بمجرد أن ينتهي من نطق عبارة الحكم "[3].

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطبعة، بيروت، ص 40.

2 عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، مجلة الأثر، عدد خاص، أشغال الملتقي الدولي الثالث في تحليل الخطاب، تيزو وزو، الجزائر، ص 68.

3 نفسه، ص 68.

يبين لنا أوستين أن اللغة لا تكمن في إيصال المعلومات فقط بل هناك أقوال لا يمكن نطبق عليها نظرية الخطأ والصواب بل إننا حينما ننطق بتلك اللفظة يحدث إنجاز مثل **زوجتك ابنتي** ففي اللحظة التي تنطق بها هذه اللفظة تصبح المرأة متزوجة فهذا القول يحقق إنجازا بمجرد النطق به وهناك عدة أمثلة عديدة في حياتنا.

أما سورل فهو يقول " الفعل المتضمن في القول (الإنجازي) هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي والقوة الإنجازية دليلا يبين لنا نوع الفعل الإنجازي، الذي يؤدي به المتكلم به المتكلم حين نطقه الجملة كالنبر والتنغيم وصيغ الفعل"[1].

يبين لنا قول سورل الإنجاز يظهر عندما مايؤدي المتكلم اللفظية التي تحقق عند نطفها مباشرة ردة فعل أو عمل أو إحداث تأثير.

إن الإنجاز يتمثل في التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح، يؤدي الفعل اللفظي حيث يقع دائما مع القول أي إحداث عمل أو ردة فعل مع النطق بالقول فاللفظ يحدث تأثيرا أو انطباع أو تصرف على السامع أو المخاطب سواء أكان التأثير تأثيرا جسديا أم فكريا والهدف منه هو اتخاذ قرار أو موقف أو ممارسة في صالح شخص أو القيام يعمل ما، فإنجاز نظام دلالي تأثيري تبليغي في لحظة إصدار القول.

1 العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أستين وسورل، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، ص 58.

3- تعريف التلفظ:

أ - اصطلاحا:

إن من مناحي الدرس اللساني الحديث ربط المنحى الوظيفي الذي يعتبر وليد النحو الوظيفي في دراسة اللغة العربية وحاول اللسانيون تأليف النظريات اللغوية التي تسعى جميعا إلى فهم مصطلح **اللفظ** وبيان بنيته، ولقد تم طرق باب علم اللغة من طرف **إميل بنفست** فيعرف التلفظ ضمنها بقوله: "إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في استعمال أما بالنسبة **أونسكومبر Ancombre** وديكرو Ducrot فهي عبارة عن نشاط كلامي مؤدى (محقق) من طرف المتكلم في اللحظة التي يستمع فيها"[1]، ولقد وجدنا أيضا تعريف **التلفظ** في كتاب **معجم السرديات** أنه يجري مصطلح " **التلفظ** في المجال اللسانيات التلفظية التي أولت جانب الاستعمال في اللغة كقيمة كبيرة، فهو ذلك يعني تحول اللغة في ملفوظ بواسطة متلفظ مشترك **Co-enomciateur** في عملية التخاطب، ومن ثم فلا اعتبار بفعل التلفظ خارج مقام التخاطب الذي يستوجب حضور المتخاطب كما يستوجب زمان ومكان معينين"[2]، "وإن **التلفظ** من الناحية المبدئية مجموعة من الظواهر المشاهدة عندما نبدأ في الحديث، وضمن فعل تواصلي معين، فينبغي أن يكون للفرد ملكة لغوية يقوم بتسخيرها انطلاقا من تداولية وإلا بقيت تلك الملكة من مواطن اللاملفوظ"[3].

نخلص من أن التلفظ يعد نشاط كلامي محقق في لحظة إحداث الكلام، فكل ما ينطق به الإنسان يكون في وقت النطق به تلفظ، ثم يؤول إلى ملفوظ بمجرد الإنتهاء من عملية التكلم.

---

1 ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 84.

2 إشراف محمد القاضي، مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، 2001، ص 118.

3 ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 85.

ويمكن أن يكون التلفظ بعيد عن دائرة الإنجاز أي أنه ليس كل تلفظ إنجاز، لكنه مرادف للخطاب أي أنه يلتقيان في عملية إحداث الكلام وحظور المتلقي في الزمان والمكان، والتلفظ ليس إنجازا دائما، لكنه أقرب من الملفوظ إلى الإنجاز.

4- تعريف الخطاب:

أ – لغة:

لقد درس العرب قديما فن الخطاب في المعاجم العربية فتنوعت وتعددت التعريفات من معجم إلى آخر فإن ابن منظور عرفه بقوله: "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان وفصل الخطاب أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده"[1]، كما صدر في معجم الوسيط: "الكلام في التنزيل العزيز ﴿ **فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ **سورة ص الآية 23**"[2].

وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب " وفي معجم مقاييس اللغة " خطب الخاء والطاء والباء، يقال **خطابه يخاطبه خطابا والخطبة** من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يزوج، فقال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ سورة البقرة الآية 235 والخطبة المخطوب به"[3].

1 ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 98.

2 إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، جزء الأول، د .س، ص 243.

3 أبو حسين بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 367.

أما في أساس البلاغة نجد " **خطب** فلان: أحسن الخطاب هو مواجهة بالكلام، واختطب القوم فلانا إذا توجهوا إليه بخطاب يحتوي فيه على تزويج صاحبتهم ونقول له: أنت الأخطب: البين الخطبة"[1].

ونستنتج مما سبق من خلال التعريفات أن الخطاب يحيل إلى دلالات لغوية عدده منها المخاطبة مراجعة الكلام ومنها خطبة فلان لقومه.

ب – اصطلاحا:

أما في الاصطلاح، عرف الإنسان فن الخطاب منذ القديم بسبب استعمالته في ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها ولقد تعدت التعريفات.

فيعرفه أبي البقاء الكفوي: "أنه كلام الذي يقصد بها فهام المستمع فإنه لا يسمى خطاب"[2].

أي أن الخطاب كلام من طرفين أو أكثر لكن يشترط الإفهام أي توصيل المعنى إلى المتلقي بدقة حتى يستطيع أن يكون له رد على هذا الخطاب كذلك وجب أن يكون كلاما توضيحيا لقضية أو مشكلة، لإثارة انتباه المتلقي أو المخاطب.

وفي مفهوم آخر **لطه عبد الرحمان** من خلال قوله: "إن المنطوق به أي الخطاب، الذي ينتج يصلح أن يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطابا، إذا حد الخطاب أنه منطوق به موجه إلى الغير لغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"[3].

1 محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ص 167. 168.

2 أبو البقاء الكفوي الكليات، طبعة مؤسسة بعنابة عدنان درويش محمد مصري، بيروت، 1992، ص 419.

3 طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، دار البيضاء ، 1998، ص 215.

فكل منطوق يشترط أن يكون له معنى أو مقصد صحيح يقتضي توصيل فكرة بين طرفين وهذا يكون استقبال المستمع الرسالة الصحيحة وهذا هو الخطاب، ونجد تعريفا أيضا في الألسنة العربية "الكلام فهو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لهما معنى مفيد والجملة هي أو الإفهام ... ولا يكون تاما وجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة، ومنها ما تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها"[1].

فالخطاب يرتبط بمفردات أي أنه مجموعة من المفردات المتسلسلة ومرتبطة تكون ذا معني ومقصد للإفهام من هو أهل للفهم وهذا لا يمكن حصوله دون أن يكون صاحب الكلام لديه زاد لغوي يستطيع من خلاله أن تكون تلك المفردات بشكل صحيح ومعنى واضح لذلك وجب عليه تتبع قواعد اللغة وكيفية نطقها الصحيح لإيصال هذا الخطاب.

ومن الذين عرفوا مصطلح الخطاب أيضا سعيد يقطين الذي يشير إلى مفهوم **زليق هريس** "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة متعلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية بشكل يجعلها تظل في مجال لساني محض"[2].

من خلال هذا نجد أن الخطاب هنا هو عبارة عن ملفوظ طويل وكما أن هذا التعريف مقتصر أيضا على ارتباط المفردة بالمفردة التي تليها ولكن مع استعمال منهجية تعتمد على قواعد لغوية وسلسلة النطق مما يجعل تلك الكلمات تخرج من مجال لساني محض أي دون أخطاء ودون الخروج عن المقصد أو المعنى فيكون فصيح وطليق.

1 ريمون طحان، ألسنة العربية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، ص 44.

2 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط3، 1997، ص 17.

-إن الخطاب – كما تقدم – وحسب تقسيمات كثيرة من الدارسين شطر الأثار اللغوية الإنسانية التي شطرها الآخر النص، ويتميز الخطاب عن غيره بكونه شفويا حاضرا المتلقي، ومما يزيد في حيويته الملابسات الكثيرة التي لوحظت والتي يعده الدرس اللغوي الحديث ذات أهمية لا تكاد تقل عن كلمات الخطاب والجملة، وإذا لم يكن الخطاب إنجازا صرفا فهو أقرب من النص إلى النص.

تحمل اللغة جانبين أساسين مهمين ومن بين هذين الجانبين المعنى الحرفي الذي يقابل الحس المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية تتحول إلى ملفوظ قولي لتشكل لنا حروف صوتية مركبة من مجموعة أصوت مستعملا، والمعني الحرفي متصل بمصطلحات تحيط به من قول والكلم والجملة والكلام والكلمة وهي مجرد علامات وحركات إعرابية لا معنى لها في نفسها.

تكمن أهميته في أنه منطلق للفظ المرتبط مباشرة في الذهن وتحقق هذه الدورة بأنها للفظ عند انطلاقه يستدعي صورة المعنى في الذهن التي تعبر عن الواقع الخارجي ويتفق بل العلماء الغرب والعرب على أنها عبارة عن رموز أو كلمات تصدر من الذهن وتخرج للعالم الخارجي، فالمعنى الحرفي يحمل أهمية كبيرة فهو منطلق الكلام إلا أن الدلالات العمل والنصوص لا تكمل في الذهن إلا بتتبع المعنى التواصلي فاللفظ دال على المعنى والمعنى دال على اللفظ فكلاهما مترابطان، فاللفظ يكمن في الصورة الذهنية وبعدها يخرج المعنى في صورة المفهوم لنهي والمعنى الحرفي هو منطلق الخطابات والنصوص، وكونه منطلقا يعني أن الدلالة متلبسة به، وفي الوقت نفسه هو متفق في جانب ما مع المعنى التواصلي، لكن الحياة الإنسانية المتشعبة بكل أبعادها النفسية والفكرية والاجتماعية والروحية والثقافة تضيق بهذه المعاني الحرفية فتجد الحرف (أي الكلمة) تحمل دلالات كثيرة مرنة يستعملها المخاطبون حسب أغراضهم وحاجتهم، ومن هنا ظهرت المعاني التواصلية، كانت هذه

الثنائية (المعنى الحرفي – المعنى التواصلي) مهمة في البحث اللغوي من أجل الثنائية اللغوية لإنشاء الخطابات والنصوص، وفهم هذه الخطابات والنصوص من طرف المتلقين، ثم تحليل هذه الخطابات والنصوص لدارسين اللغويين، ويبقى المعنى الحرفي أساسا في فهم المعنى ومنطلق في كل عملية في فهم الخطاب والنص والإمساك بدلالته.



الفصل الثاني:

ثنائية الحكاية والإنجاز في المعنى التواصلي

أولا: الحكاية في المعنى التواصلي:

1- المعنى التواصلي في البلاغة العربية:

في صدد البحث عن اللغة وجدنا أن الركائز الأساسية والمهمة للغة هي دراستها من حيث الشكل (**المعنى الحرفي**) ودراستها من حيث المضمون (**المعنى التواصلي**) لأن الاهتمام باللغة كان حتميا لا مفر منه، فهي تعبر عن ماهية الإنسان وتحفظ تاريخ الأمة وحضارتها، وبذلك بدأت صورة اللغة تتطور شيئا فشيئا نتيجة اهتمام البلاغيين والتداوليين المتواصلة على مر الزمان.

وأهم ما ميز هذه الدراسة هو الاهتمام الكبير بالمعنى التواصلي للغة منذ القديم وكان العلماء العرب البلاغيين هم السباقون في دراسة اللغة في **المعنى التواصلي** في كتب البلاغة وسموه الأغراض البلاغية، ومن هذا الباب ما تحدثت فيه البلاغة عن الكناية والاستعارة والمجاز لأن الدلالات اللغوية أرحب من معاني الحرفية رحابة النفس الإنسانية، فهي تبدي عكس ما تخفي، وفي تراثنا البلاغي العربي نجد كل من الجاحظ والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من العلماء العرب كرسوا حياتهم لدراسة اللغة فعبد القاهر الجرجاني يبن أن اللفظ يحي بالمعنى، ولكن يضفي لك المعنى إلى معنى آخر، ولكن ليس المقصود أن يكون قريب ومعنى بعيد، ويكون هناك انتقال من معنى إلى معنى، وهو انتقال ملفوظ بالمتلقي، فإن إدراك المعنى ضرورة لإدراك مدلوله فقد تتسع أو تضيق أو تخصص أو تعمم أو تنحط أو تعلو... بحسب السياق الاستعمالي الذي ترد فيه.

بيد أن لا بد من الإقرار بأن وراء أي دلالة معنى جديد يضاف إلى المعنى الظاهر أي أن لكل لفظ معنى آخر له.

1-1 الاستعارة:

هي "ضرب من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد الطرفين، أو انتقال كلمة من بيئة لغوية معينة إلى بيئة لغوية أخرى، وعلاقتها المشابهة دائما"[1].

نقصد من هذا التعريف أن الاستعارة تعني نقل العبارة من معناه الحقيقي إل المعنى المجازي، مع مناسبة المستعار للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يتعارض ولا يتنافر ومثال ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

شبه الشاعر المنية بحيوان مفترس بجامع الاغتيال بينهما ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو أضفار، كما حذفت الأداة ووجه الشبه، ولما كان الشبه به غير مصرح به سميت استعارة مكنية.

فالاستعارة هي نقل العبارة من معناه الحرفي إلى معنى آخر من أجل مفهم مقصود المعنى الحقيقي لهذه العبارة وبهذا يمكننا القول أن الفهم الحقيقي للعبارة هو نقلها من المعنى الحرفي إلى **المعني التواصلي**.

1-2 الكناية:

عبارة عن " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصل مع المعنى المراد "[2].

ونقصد بهذا التعريف أن ا لكناية هي لفظ يعتمد على معنيين واحد ظاهر غير مقصود، وآخر مخفي هو المقصود مثال على ذلك:

1 يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، ط1، 2007، ص 186.

2 بهاء الدين السيكي، عروس الأفراح، في شرح تلخيص المفتاح، ت .ج، عبد الحميد هنداوي، ط1، 2003، ص 237.

- ✓ وقف مرفوع الرأس **المعني** الظاهر (**الحرفي**): هو رفع الرأس إلى أقصى ارتفاع ممكن.
- ✓ **المعني** الخفي (**التواصلي**): يدل على الفخر والاعتزاز.

فصارت الكناية تدل على الكلمة أو الجملة على شيء معين بشكل مباشر(**المعني الحرفي**) ولكنها تخفي شيئا غيره بشكل غير مباشر (**المعني التواصلي**).

1-3 المجاز:

"هو كل كلمة أريد به غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز"[1].

نجد أن الكلمة معنيين معني أول هو الذي وضعت له الكلمة في الأصل والمعنى ثاني والمعنى الذي استعملت فيه مجازا، أي أنه لفظ مستعمل في ما وضع له مثل قول (**شفي الطبيب المريض**) فإن الشفاء بيد الله تعالى فإسناد الطبيب المجاز، ويتم ذلك بوجود علاقة مع القرينة مانعة من جريان الإسناد إلى من هو له.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا** ﴾ **سورة الأحزاب الآية 53**

ابتدأت هذه الآية الكريمة بنداء إلى المؤمنين ويتضمن عدة أحكام يجب العمل بها، من حيث تضمن خطابه تعالى نهيا يريد من خلاله: "لا تدخل إلى بيوت النبي إلى بإذنه

1 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 304.

لتناول الطعام غير مستأنسين لحديث بينكم فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي فيستحي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له والله يبين الحق ويظهر، وإذا سألتم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة من أواني البيت ونحوها فإسألوهن من وراء ستر، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبدا، لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه، إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ناكحتم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله "[1].

وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر واجتنبت ما نهاه عنه الله"[2].

هذه الدعوة الكريمة من الله سبحانه وتعالى تحمل في طياتها عدة أحكام ومبادئ وجب العمل بها فيما بينهم لأن مخالفة ذلك تعد تقصير وإثما.

كما احتوت هذه الآية الكريمة على مجاز في قوله تعالى: ﴿ **وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ وعلاقة هذا المجاز السببية لأن من استحى من الشيء تركه عادة والكلام جار مجرى المثل ليكون تأديبا يتعظ به الثقلاء، فالمجاز صفة من صفات البلاغة، وفصاحة القول، وليعطي معنى كثيرا باللفظ يسير، وظاهر الآية أنها تتضمن أحكام القرآن التشريعية في تنظيم شؤون الأسرة، وتلك الأحكام تنظم حياة النبي الخاصة مع زوجاته وعلاقة المسلمين ببيت النبي.

أي أن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير معناه الحقيقي لقرينه مانعة من إرادته وهو الانتقال بين المعنيين المعنى الأول وهو المعنى الحقيقي الذي وضع للفظ الأصل، والثاني وهو المجازي والمعنى الفرعي الذي يخرج من اللفظ لتبين لنا المعنى الحقيقي وهو المعنى **الأصل** وهو غير مقصود والمعنى المجازي هو المعنى الحرفي المقصود.

1 نخبه من العلماء، التفسير الميسر، مكتبة الملك، فهذا الوطني، مدنية، 2009، ط2، ص 425.
2 نفسه، ص 425.

كما إن البلاغة العربية تحمل في طايتها الكثير من الكلمات والجمل والمفردات التي تدل على شيء معين بشكل مباشر **المعنى الحرفي**، ولكنها في الحقيقة الأمر فهي تخفي شيء آخر، وهو غير مباشر (**المعنى التواصلي**) فالبلاغة دائما تبحث عن إيصال المعنى إلى القلب في أحسن لفظ، وما تكلمت فيه البلاغة من استعارة، كناية، ومجاز إلا دليل على أن البلاغة ما هي إلا البحث في معنى التواصلي لأن المعنى الحرفي يفهمه كل الناس كل من يسمع الكلام أو الخطاب ولكن تفاوت الناس في المعنى التواصلي وسموه الأغراض البلاغية، أو المسكوت عنه فالجملة تحمل معنى ظاهر قريب وليس المقصود، ومعنى خفي بعيد وهو المقصود، وإذا ذكرنا البلاغة العربية لا يمكننا أن نذكر القرآن الكريم لأن البلاغة العربية تتصل بعلوم القرآن اتصال العود الأخضر بالماء فهي وجه من وجوه إعجازه، فمن رام فهم القرآن الكريم فلابد أن يتصل بالمعاني التواصلية، التي هي من ضمانات استمرار تدفق معاني النص القرآني على اختلاف الزمان والمكان والحال.

فالقرآن الكريم يحمل الكثير من كلام الله عز وجل لا تفهم أسراره بتتبع المعاني التواصلية ولذلك عمد المفسرون وعلماء الشرع إلى الاعتراف من مقتضيات مقولات البلاغية حتى يتبين فهم الكثير من دلالات القرآن مثلا قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة الآية 44.

المخاطب بقوله أتأمرون جميع بني إسرائيل الذي خطبوا من قبل فيقتضي أن هذه الحالة ثابتة لجميعهم، أي أن كل واحد منهم تجده يصرح بأوامر دينهم ويشيعها بين الناس، ولا يمتثلها هو في نفسه، ويجوز أن يكون المقصود بهذا الخطاب فريقا منهم، فإن الخطاب الموجه للجمعات والقبائل يأخذ كل فريق، ماهو حظه من ذلك الخطاب؟ أي كيف تأمرون أتباعكم بالبر وتنسون أنفسكم؟

والاستفهام هذا لتوبيخ لعدم استقامة الاستفهام الحقيقي استعمل لتوبيخ مجازا لقرينه المقام والتوبيخ يلازم الاستفهام لأن ما يأتي ما يستحق التوبيخ عليه من شأنه أن يسأل عن ثبوت الفعل به ويتوجهون إليه بالسؤال فينتقل من السؤال إلى التوبيخ لأن الحالة التي وبخوه عليها حالة عجيبة، وليس التعجب لازم لمعنى التوبيخ[1].

ففي ظاهر هذه الآية يظهر بأنه استفهام ولكن باطنه توبيخ أي أن المعني الحرفي للكلمة هو استفهام ولكن المعني التواصلي هو توبيخ لهم.

وعلاقة بين البلاغة العربية والقرآن الكريم تبادلية، لأن جذور البلاغة نشأت في رحاب النص القرآن لاتفهم كثير من لطائفه إلا بتحسس هذه المعاني الدقيقة التواصلية.

2- جملة ظاهرها حكاية وباطنها إنجاز:

أما في اللسانيات التداولية التي هي درس جديد وعزيز إلا أنه لا يملك حدود واضحة... تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق الطرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"[2].

نجد فلاسفة إكسفورد ركزوا على هذه المعاني التواصلية وبخاصة أوسيني الذي لاحظ أن كثيرا من العبارات والجمل في أحاديث الناس اليومية ومحاورتهم تحمل قدر كبير من هذه المعاني المبطنة التواصلية إلى حد أنه خلص إلى أن جميع أحاديث اليومية تحمل معاني تواصلية، وإن ظهرت جمل من قبيل التحيات والمجاملات ونحوها فهو يرى أن الوظيفة الأساسية ليست إيصال المعلومات وتعبير عن الأفكار فحسب، وإنما هي تقوم بتحويل الأقوال التي تصدر إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، ومن أمثلة ذلك:

1 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 474، 475.

2 خليفة بوجادي، في السانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 64.

- ✓ حينما نقول: بعتك كذا يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا وهو البيع.
- ✓ قول القاضي أو ما ينوبه: فتحت الجلسة ليتحقق الإنجاز بمجرد التلفظ بهذه الجملة فتنطلق أشعال الجلسة في ساحة القضاء.
- ✓ وفي يومياتنا قد يقول الأب: لأولاده إن المستلزمان كثرت في هذه الأيام ولا يستطيع المرء أن يوفق في مرتبه ومستلزماته، إلا إذا اقتصد وأحكم التصرف هذا الخطاب من الأب إلى أسرته ظاهره تقرير للإخبار ولكن بمجرد التلفظ به يتحقق الإنجاز المبطن الذي يتمثل في أن مصاريف هذه الأسرة ستسير على نحو ما من الإقتصاد، فالأولاد بمجرد سماعهم لهذا الحديث يتحقق الإنجاز بالنسبة إليهم لأن مصروف كل واحد سيقل عن ما كان من قبل، وبذلك نقول أن الكلام بدون شك هو تبادل المعلومات ولكنه أيضا تحقيق أفعال.

كما يرى أوستين أنه "هناك نوع آخر من العبارات في تركيبها، ولكنه لا يصف وقائع العالم ولا يمكن وصفه بصدق ولا الكذب كأن يقول أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بالصدق أو الكذب، بل إنك إذا نطقت بواحد منها أو مثلها لا تنشئ قولا بل تأدي فعلا في أفعال الكلام"[1]، فالفعل الكلامي Spech act نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه، وأنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[2].

إذن الفعل الكلامي هو الأساسيات التي تبني عليه التداولية وفحواه ويكون فعلا تأثيريا يطمح إلى أن يكون تأثير في المخاطب، لإنجاز شيئ ما؛ فأوستين "يقر بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، العمل الأول هو العمل القولي وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، أما

1 يسمينة عبد السلام، مجلة الخبر، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوسيني، جامعة بسكرة، الجزائر، ص 107.
2 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 40.

الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما، وأما الثالث فهو عمل التأثير بالقول وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما"[1]، مثال ذلك "الأمر بتنظيف الأسنان، فالأب وهو يقول " نظف أسنانك " ينجز عملين بصفة متزامنة، فهو ينجز عملا قوليا يتمثل في نطقه بجملة " نظف أسنانك " وينجز عملا متضمنا في القول يتمثل في أمره ابنه بتنظيف أسنانه، والابن وهو يجيب " لا أشعر بالنعاس " ينجز ثلاثة أعمال هي العمل القولي، عندما ينطق بجملة " لا أشعر بالنعاس " والعمل المتضمن في القول المتمثل في إخباره أو إثباته عدم الرغبة في النوم (وهذا لا ينبغي خلطه بأي عمل قبول أو رفض)، وأخيرا ينجز الابن علم التأثير بالقول المتمثل في الإقناع بما أنه يسعى إلى إقناع أبيه بإمهاله لتنظيف أسنانه بما أن النعاس لم يداعب أجفانه بعد"[2].

فهنا بين لنا أسيني أنه عند التلفظ بالجملة يتحقق فعل القول.

إنجاز القول: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة **والفعل المتضمن** هو الفعل الإنجازي الحقيقي لأنه عمل ينجز بقول ما، **والفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري)** فعل متضمن في القول (قوة) فعل القول؛ وهناك أمثلة كثيرة منها:

- ✓ عند يقول الأب لقد رزقت بمولود جديد سأسميه محمد فهذا يظهر بأنه خطاب الأب لأهله ظاهرة إخباري حكائي ولكن بمجرد التلفظ به يتحقق الإنجاز الداخلي الذي يتمثل في أن المولود الجديد اسمه محمد فلمجرد سماع الأهل لهذا الحديث يتحقق الإنجاز بنسبة إليهم ويصبحون يلقبون المولود بمحمد.

1 أن روبول وجاك، موسلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ت .ر، سيف بن دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 31، 32.

2 نفسه، 32.

3 – جملة ظاهرها حكاية وباطنها طلب:

إن اللغة مهمة في حياتنا اليومية فهي أكثر فعالية من أجل الإيصال والتبليغ فعل المتكلم أن يختار اللفظ، من أجل إيصال المعني للمتلقي ونلاحظ كثيرا أن التعبير عن اللفظ في مقام معين إلا بإراد المعنى المقصودة، أي أنه عندما نتلفظ بالكلمة علينا أن نفهم معناها التواصلي التبليغي، فاللغة جانبين من المعن المعنى الأول حرفي التي تفهم من حرفية الخطاب والثاني تواصلي يفهم بإدراك المعنى المقصود من المتكلم فإن تركيب الرسالة وتفكيكها تعبر عن نقطة تحول في دراسة نمط وسلوك خاص بالمتكلم وأهم ما توصل إليه العلماء العرب والغرب هو أهمية الوظيفة التواصلية لأن الوظيفة الحرفية يفهمها كل من يقرأ ويكتب أما التواصلية فهي متشعبة المسالك فكأن اللغة أنشأت لأجلها.

ولذلك حاول كل من البلغاء العرب والتداوليين أن يدرسوها دراسة دقيقة، مثال ذلك: فعندما نقول زميلتي أنا جائعة ففي ظاهر هذه الجملة فهي تخبرني أنني جائعة ولكن هي تريد تحقيق إنجاز مبطن، وهو أن أقوم بشراء الغداء وبذلك يتحقق الإنجاز فأنا من خلال سماعي لقولها أني جائعة أنا أفهم تلقائيا أنها تريد أن تأكل؛ فهذا في ظاهره إخباري ولكن مبطنه إنجازي طلبي وغيره من أحديثنا اليومية فهي لا تحصى ولا تعد.

وزيادة عن ذلك مثلا عندما تقول أمي البيت أصبح متسخ، فهذا الخطاب من الأم إلى بناتها، ظاهرها حكاتي إخباري تقريري، ولكن نفهم منه أنها تطلب من بناتها تنظيف المنزل أي أن صورة الكلام حكاية وباطنها طلب.

من هذا الضرب الثالث الذي سماه أستين **الفعل التأثيري** نجد ما يتلفظ به الناس نهارهم وليلهم، فهم يردون تغيير الواقع الصغير الخاص بهم، بدرء مفسدة أو جلب منفعة، لأن الجماعة البشرية جماعة عاقلة، تشير أن في كل يوم علاقة مصلحة ضيقة في إطار العلاقة الاجتماعية الواسعة.

إن كل من يتخاطب به الناس بدء من التحيات والعبارات المجاملات إلى الترحيب والسؤال عن الحال، إلا لتبادل الحديث عما يحوط حياتنا الاقتصادية والسياسية، إلى حديث أصحاب كل وظيفة أو عمل أو حرفة عن وظيفتهم أو عملهم أو حرفتهم، إلا غير هذا كل ما يمكن أن يداوله الناس من محادثات بينية أو جماعية أو مكالمات هاتفية أنها – في أغلبها– تستر، وتلمح في الصورة إنسانية عالية، فتسأل بالجملة الجبرية ونطلب الجملة الخبرية بل تأمر وتنهى بالجملة الجبرية لأن خبر الأسلوب مَرِءٌ حكائي بعيد كل ابعد عن الأمر وطلب الحاد والاستعلاء.

إن حياتنا بهذا المعنى تكتسب مرونة وسهولة وحيوية، تترفع في كل التصدمات والتخصمات، وذلك حين يستحيل إنجاز حكاية والحكاية إنجاز، ويستحيل الطلب سرد والسرد طلب، والتماس تقرير والتقرير التماس، أو بالمصطلح البلاغي حيث يستحيل الإنشاء خبر، ويعبر الخبر عن مقتضيات الإنشاء فيعيش حينها حياة خبرية جديدة.

والأمثلة الآتية تقرب هذه الفكرة، وبخاصة أنها نماذج من يوميات كثيرة من الناس، وذلك حين نسمع عامل يخاطب صديقه صباحا:

- ✓ هل سمعت أن مداخن المدينة أغلقت بسبب الثلوج؟ ويسبب هذا حرج للمسافرين.
- ✓ الجو بارد في هذه الأيام لا يصلح معه إلى المعاطف الجلدية الكبيرة.
- ✓ لقد صرفت معظم مرتبي في شراء اللباس والغطاء لأولادي.
- ✓ صديقي سنخرج بعد الدوام معا لنتغدى ونرتشف شاي معطر.

إن هذه الجمل التي قالها الصديق لصديقه لو نتأمل من معمولتها المعنوية نجد المتكلم المبادر لا يفكر في المسافرين وما يلقونه من حرج، ولا يرغب في إخبار صديقه عما يصلح للبرد، أو أنه اشترى لأولاده ما اشترى لهم، ولانية له أن يقدم لصديقه غداء ولا شاي إنه كلام يظهر في صورة تخاطب عادي مؤلوف، يخبر أكثر مما يطلب أي بالتعبير البلاغي هي

جملة خبرية خالصة، لكن بزحزة هذه الجملة والنظر في ما وراءها تظهر حقيقة المتكلم، أنه يرمي إلى منحى تواصلي آخر قد يحمل معنى من المعاني المحتملة.

- ✓ إما أنه يلمح إلى رغبته في الاستدانة من صديقه ويمهد لها بهذا الحديث.
- ✓ إما أنه يلمح إلى رغبته بمساندته لو معنويا على شدة التي ألمت به.
- ✓ وإما أنه يرمي التنفيس عن حالة وطلب الراحة النفسية من خلال ما عكر عليه حياته.

إذ لا يعقل أن تكون كل تلك الجمل إخبار لمجرد الإخبار، لذلك نجد أصحاب الحاجات – كثيرة منه – بكثرة الحديث والشكاة، ولا يمل عرض حال عن الآخرين هذه بعض المعاني التي قصدها أوستين جعله ينظر إلى أحاديث الناس إلى أنها إنجازيات، لا أنها تحقق مقتضياتها بمجرد التلفظ، ولكن هي إنجاز من باب أنها خرجت عن الحكاية والسرد والتقرير إلى الطلبي، والقصد تغيير الواقع على نحو ما، أي أنها أقوال نفعية جاء في لبوس خبري، تهدف إلى التأثير في المتلقي وفي الواقع الصغير والكبير.

المعنى التواصلي هو رديف المعنى الوظيفي، وهو المعنى قصدت إليه الرسالة في الخطاب أو النص، أي أنه مقصد التبليغ وهو يقابل المعنى الحرفي، ولو أردت أن تقارن المعنى التواصلي بالفروقات النحوية واللسانية لقلنا إن المعنى التواصلي وهو وظيفة الجملة الاجتماعية، وبتعبير اللسانيين هو الملكة التبليغية، فالمعنى الحرفي يقابل الملكة اللسانية وفيها القدرة على صناعة الجملة الصحيحة، أما المعنى التواصلي فيقابل الملكة التبليغية الاجتماعية وهي القدرة على إبلاغ الرسالة.

فنجد الجملة تحمل دلالات ناشئة عن كلمتها، وأما معناه التواصلي فهو ما قصده صاحب الجملة حسب استعماله وحسب القانون.

تكمن أهمية المعنى التواصلي فإنه عني باهتمام كبير من قبل الدارسين لأنه من أجله تتم عملية التخاطب، ولكن لا تنسى بأنه موجود منذ ظهور الإنسان، فهو خاصية طبيعية وعملية اجتماعية مرتبط بإنسان منذ ولادته والمجتمع منذ نشأته، فهو جوهر بناء العلاقة فهو من جهة يقوم بوظيفة نقل الرموز الذهنية وتبليغها برسائل لغوية وغير اللغوية، ومن جهة أخرى يؤدي وظيفة تأثيرية وجدانية تقوم عليها العلاقة الإنسانية، وتتأكد أهمية المعنى التواصلي من خلال دراسة العلماء الغرب والعرب دراسة دقيقة وشاملة لها وقد أصبحت ظاهرة لها قوانينها وأسسها في الدرس اللغوي فإذا كان المبتدأ فهم الجمل والخطاب والنص وهو المعنى الحرفي فإن الخبر هو الإمساك بتلابيت المعنى التواصلي وهذا إن دل على شيء وإلا دل على اهتمام البالغيين واللسانيين وشغلت الفقهاء والمتكلمين حتى أنهم اختلفوا في تسميته واختلفوا في وصفه والحديث عنه، فقد كان المعنى التواصلي قبل ميلاد البلاغة العربية من جهة وقبل ميلاد التداولية الحديثة من جهة أخرى، وما حديث البلاغيين والتداوليين عن هذه المعاني التواصلية إلا من قبيل توظيف شيء قديم جدا له اهتمام في حياة الباحثين.

إن اختلاف المفسرين في تفسيراتهم وتأويلاتهم من كثير من آيات القرآن الكريم إما الشروح التي قدمها الحديث النبوي الشريف، وإما البيان الذي قدمه من شرح الآثار الإنسانية الأدبية والغير الأدبية واختلافات هؤلاء جميعهم وتعددها وتنوعها دليل على أن الاختلاف هؤلاء جميعهم وتعددها وتنوعها دليل على أن الاختلاف إنما كان لسبب هذه المعاني التواصلية الوظيفية، وقد يظهر أن معنى الكلمة والجملة هو الذي اختلفوا في النحاة والصيارفة والبلاغيون هو سبب الاختلاف عند هؤلاء في كلمة والجملة أي المعنى الحرفي محدود مقارنة بإبداعات هذه المعاني التواصلية الكثيرة كثرة المشارب الإنسانية.

ثانيا: الإنجاز في المعنى التواصلي:

إن الأساليب العربية التي يرد فيها إنجاز بالمعنى التداولي الحديث تتقسم إلى أساليب، يرد في بعضها إنجاز محض، أي يتحقق الفعل بمجرد التلفظ، ويرد في كثير من غيرها أساليب قريبة من الإنجاز، أو بالتعبير البلاغي أساليب إنشائية، في ظواهرها إنجاز/إنشاء، وتختلف بواطنها بحسب القصد والتلقي، أي يسهم قصد الملقي و كفاءة متلقي الخطاب/النص في فهم ذلك الباطن، أي في تحديد المعنى التواصلي, فبعضها يظهر الإنجاز ويبطن الطلب، وبعضها الآخر يظهر الإنجاز ويبطن الحكاية.

1 – في ظاهره إنجاز وباطنه طلب:

كل ما قررته كتب البلاغة العربية أن الإنشاء يخرج في صور كلامية كثيرة إلى أغراض تفهم من تتبع القصد والمعنى، فيخرج النهي عن الاستعلاء إلى التهديد مثلا عند من يقول لخادمه: لا تطع أمري، لأنه لا ينهاه عن الطاعة إنما يضمن رسالة تبقى كفاءة المتلقي هي من يحددها.

ويخرج الاستفهام عن حقيقة طلب الفهم إلى التسوية مثلا في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة الآية 6 فلم يبق من هذا الاستفهام إلا صورته في حرف الاستفهام (أ).

ويخرج النداء عن حقيقة طلب إقبال ونحوه إلى تحسر مثلا في قول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ سورة الأنعام الآية 31.

إن كل هذه الأمثلة خرجت عن الإنجاز إلى الطلب، أي خرجت عن إنشاء على سبيل الاستعلاء إلى طلب على سبيل الترفق والتلطف، فإن الذي يهدد خادمه نقرأ في

عمق ذلك التهديد طلبا بوجه ما لطاعته، والقرآن عندما يسوي بين الإنذار وعدم الإنذار فإنه لا يُيئّس من إبلاغ الرسالة، لكنه كأنه يطلب من كل من يتلو القرآن أن لا يكون سبيله هذه السبيل[1]. والذي يتحسر من خلال النداء على تفريطه فكأنه بصورة مقابلة يطلب عودة يصحح مساره, حتى وإن أيقنا بصريح القرآن أنه كاذب في دعواه، إذ لو رُدوا لعادوا لما نُهوا عنه.

هذه النماذج جميعها تدل على أن الإنشاء يخرج إلى أغراض بلاغية تبقى أحيانا في دائرة الإنشاء، لكنها خرجت إلى إنشاء ليس بنهي في صورة نهي، وليس باستفهام في صورة استفهام، وليس بنداء في صورة نداء، أي أن الظاهر نهي والباطن تهديد وكلاهما طلب، وأن الظاهر استفاهم والباطن تسوية وكلاهما طلب، وأن الظاهر نداء والباطن تحسر وكلاهما طلب.

وجملة هذا الحديث أن الأساليب التي تحمل إنجازا أو ما يكون في حكم الإنجاز لا يمكن للدارس الباحث أن يمسك بمعانيها إلا بتتبع هذه المعاني التواصلية التبليغية[2]، أما ظاهر اللفظ فقد يخاتل القارئ غير المتمرس فيرمي به في واد غير الذي قصده الخطاب ورام تداوله في تلك الجماعة البشرية.

2 – في ظاهره إنجاز وباطنه حكاية:

مر في صفحات هذا البحث أن كثير من تخاطباتنا وأحاديثنا ظاهرها حكاية وباطنها إنجاز وذلك لأن النفس الإنسانية تعاف الأوامر القهرية والطلبات الجادة الصارمة، لكن هناك ضرب آخر من القول يكون في ظاهرها إنجاز وفي باطنها حكاية، وإذا كان هذا اللون من الكلام جاريا بين الناس فهو أقل من القليل لا تكاد تجده إلا في بعض أساليب الأدباء

1 ينظر، أبي يعقوب بن محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 429– 431.

2 ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 126.

والمبدعين، كأن يقول المؤرخ مثلا – سَجِل يا تاريخ إن بلادنا الجزائر تمرد على قيودها المستعمر الفرنسي ورفضت أوامره ونواهيه، واقرأ أيها الجيل صفحات تاريخك المجيد النشيد حضارة إنسانية بعيدة عن كل ألوان الظلم والعدوان.

إن قول المؤرخ (سجل يا) وقوله (اقرأ) هما فعلا أمر أي إنشاء طلبي ينتظر في ظاهره إن يحقق إنجاز، ولكنه بعيد كل البعد عن هذا إنه لون من ألوان الحكاية والتقرير، وقد يقول قائل إن الإنشاء ليس إنجازا في كل أحواله، فنقول إنما من يتكلم قائلا: أشكر الأيام والليالي التي عرفتنا بخبث المستعمر الفرنسي وخديعته وكفر واستبداده، وأشكرها لأننا تعلمنا أن الكفر ملة واحدة وإن الاستبداد الاستعماري ليس له دواء إلا التضحية والفداء.

إن المتكلم هذا يشكر ويهنأ والشكر والتهنئة متعلقان بالمتكلم لا غيره، وهما فعلان إنجازيان، يفترض أن يتحقق مقتضاهما بمجرد التلفظ بهما، فهل يتحقق شكر هذا المتكلم وتهنئته؟ إنه لون من ألوان استخلاص العبرة وتسجيلها، وليس إنجاز الذي باطنه حكاية إلا من النص ولسياقاته الثقافية التي تحيط به، ورغم ذلك فإن هذه الاستعمالات الكلامية قليلة محدودة في حياة الناس.

أما بالنسبة للإنشاء الطلبي يكون بخمسة أشياء الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وهذه الخمسة أقرب إلى ما يسمى في اللسانيات التداولية بالأفعال المنفعية أو الإنجازية.

وفي لغتنا العربية يخرج هذا الضرب من الإنشاء عن الأصل الذي وضع له وهو الطلب إلى أغراض أخرى يحددها سياق الكلام وحالته العامة، ولما نتصفح كتب البلاغة في هذا الشأن نعثر على أمثلة كثيرة، نقتنص منها في هذا المقام ذكرهم للآية القرآنية ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة الطور الآية 16، فإن هذا الخطاب القرآني عمد إلى التسوية بين حال صبرهم وعدمه؛ لأنهم استحقوا هذه

العقوبة، وقد سجل القرآن الكريم ذلك في وقائع لغوية:

- ✓ للمكذبين.
- ✓ هم في خوض يلعبون.
- ✓ النار التي كنتم بها تكذبون.
- ✓ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون.

إن القوم كذبوا وخاضوا يلعبون ولم يصدقوا بيوم الحساب ولا العذاب الذي فيه كأنه سحر، فجاء جزائهم على سبيل التقريع والتبكيت سوى بين حال صبرهم وحال جزعهم[1].

إن هذا الخطاب القرآني جاء على شاكلة الأمر الذي هو قريب من الإنجاز، لكنه قصد من خلال هذا الأمر بيان واقع يوم سيأتي وتجتمع فيه الخلائق, ولما كان علم الله محيطا بالحال والاستقبال حدثنا عن مشاهد يوم القيامة والمكذبون يُدَعّون إلى نار جهنم دعا كأنه يحكي واقعا حصل وانقضى وصار في الزمن الماضي.

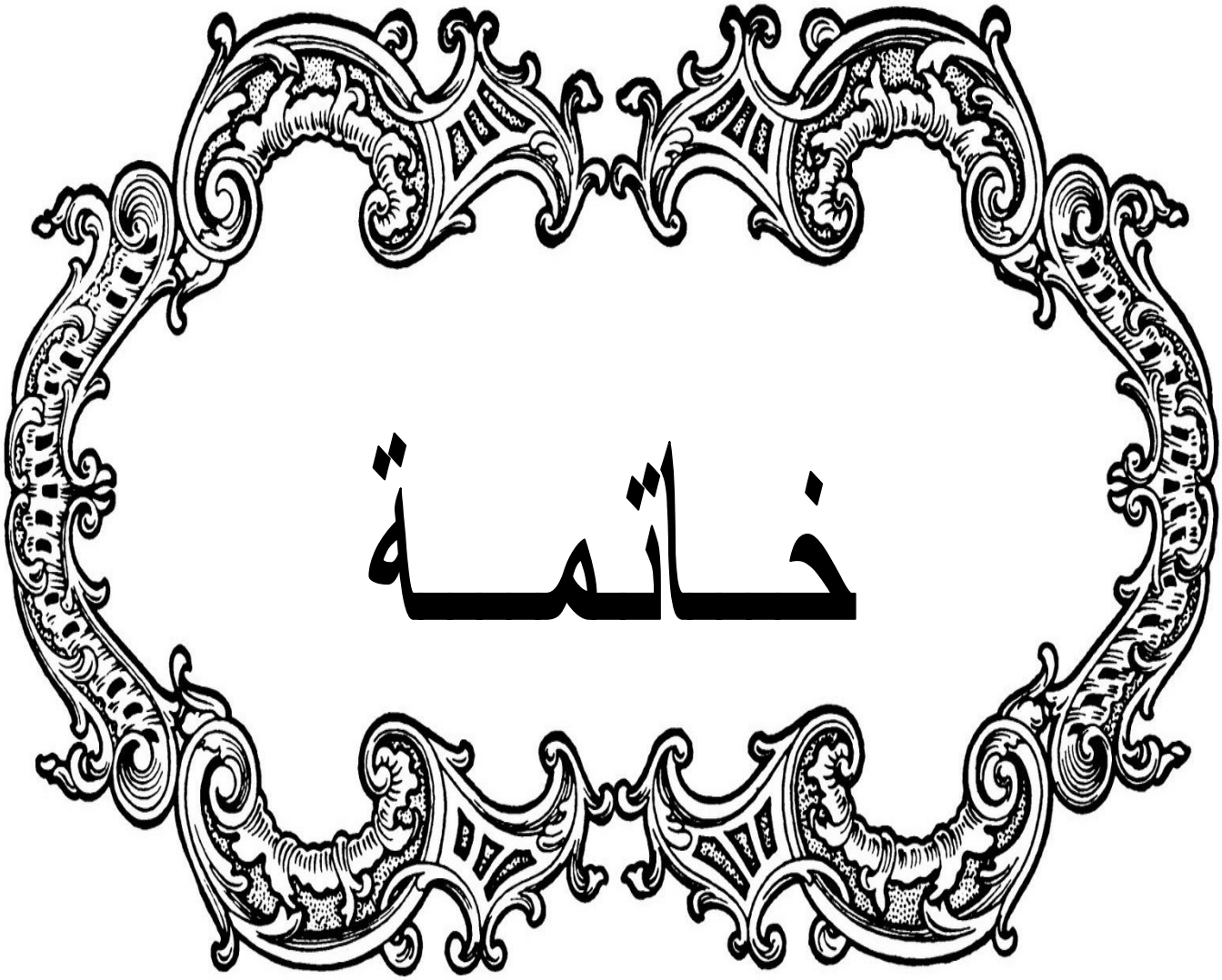
إن هذا اللون الكلامي يسميه البلاغيون أمرا خرج إلى غرض بلاغي هو التسوية[2]، وقد تُوَصِفه اللسانيات التداولية بأنه: حكاية في صورة إنجاز، أي أنه تلفظ قرآني كريم يصور ملفوظا صار في عداد السرد والتقرير، وهذا من أمارات الأسلوب القرآني السابق، الذي ينبذ الأمر والنهي والوعيد والإنجاز في تصوير مضمون حكاية سبقت في علم الله، فالظاهر كما ترى إنجاز والباطن حكاية تقرر الوعيد المحتوم لكل مكذب لا يؤمن بيوم الحساب.

ولذلك يكتفي بحثنا بهذه الإشارات وعسى أن تفرد بعض التوسع في هذه الموضوع في بحوث لاحقة إن شاء الله.

---

1 أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم، دار السلام، فلسطين، 2000، ط1، م8، ص 612.

2 أبي يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 429.


خـــاتمـــة

بعد دراستنا لهذا الموضوع: الحكاية والانجاز بِعَدِهِ ثنائية طرفاها متقابلان، والإطلاع على التقارب في الرؤية بين المقولات البلاغة العربية وخلاصة الدرس التداولي الحديث خلص بحثنا إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في مايلي:

1. ثنائية الحكاية والانجاز تشمل جميع المقولات والمحادثات في تخاطباتنا اليومية والإبداعية، لها وجه من التقارب مع كثير من الثنائيات في الدرس العربي وفي اللسانيات الغربية، لا يصل هذا التقارب إلى جعلها شي واحدا لكنه يغري بدراستها في واد واحد بسبب التشابك والتشارك، فمن الدرس العربي نجد "الخبر –الإنشاء" ، "القص والسرد –العقد" ومن اللسانيات الغربية نجد "الملفوظ –التلفظ"، "النص – الخطاب".
2. المعنى الحرفي هو المعنى الذي تدل عليه الكلمات في أصل الوضع، والملاحِظُ لأحاديث الناس يجد هذا الصنف من المعنى لأنه مبتدأ الفهم والإفهام، به يتبادل الناس الأفكار ويحققون المصالح لكن هذا المعنى بإزاء المعاني التواصلية يعد أقل من القليل، وسبب ذلك سعة حاجات النفس وتشعب المصالح الإنسانية وفقا للطائف هذه النفس من جهة، وضيق المعجم اللغوي لهذه الحاجة والمصالح من جهة ثانية.
3. المعنى التواصلي وتسمى التبيلغية، وهي المعاني المقصودة من وراء الحديث المخبوئة وراء ظاهر كل جملة فعلية واسمية تتستر بعض المعاني ولا يدرك إلا بنباهة المتقي وإلفه لأسلوب الملقي، وخبرته بمسارف اللغة عامة واستعمالاتها الاجتماعية وفي هذه المعاني التواصلية يتفاوت الناس عامة والشراح والمفسرون والمؤولون خاصة، بمقدار الخبرة باللغة والملقي وبطبائع النفس الإنسانية تكون حيازة الأهلية عند أولئك الشراح والمفسريين والمؤولين.
4. قد ترد الجملة العربية في شكل خبري حكائي سردي ولا يخرج مدلولها عن هذه الحكاية والتقرير، وقد ترد هذه الجملة في قالب حكاية وباطنها أي (معناها التواصلي) إنجاز يعرف هذا من خلال المقام اللغوي والثقافي عامة، وهنا تكمن مهارة القراءة والفهم والتحليل.

5. قد تتفق الجملة العربية بين الظاهر والباطن في دلالتها على الإنجاز، وقد ترد الجملة إنجازية في ظاهرها فإذا تعمق الدارس في سياقها القبلي والبعدي ومقامها الاجتماعي أدرك أنها تحمل معنى آخر قد لا يكون حكاية خالصة، لكنه يحمل شيئا من معانيها، ومزية الفهم والتحليل تكون من خلال دراسة هذه الجمل التي لا تعبر عن معان تحت المعاني بقدر ما تعبر عن نفسية الإنسان وما جبلت عليه من تستر وإضمار وتلميح وإشفاق.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

▪ المعاجم العربيّة :

1- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، م12.

2- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، م13.

3- جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب، م7 .

4- جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب، ج5.

5- جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب،ج 4.

6- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج5.

7- إشراف محمد القاضي، مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، 2001.

8- الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .

9- إنعام فوال عكاوي، معجم المفضل في علوم البلاغة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996.

10- الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

11- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (5 / 11)

▪ المصادر والمراجع العربيّة :

12- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ج1.

13- أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم، دار السلام، فلسطين، 2000، ط1، م8، ص 612.

14- أبي البقاء الكفوي الكليات، طبعة مؤسسة بعنابة عدنان درويش محمد مصري، بيروت، 1992.

15- بهاء الدين السيكي، عروس الأفراح، في شرح تلخيص المفتاح، تح عبد الحميد هنداوي، ط1، 2003.

16- توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2013.

17- جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المنجلي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الإمامين الجليلين، دار ابن كثير، ج 24.

18- الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 5.

19- أبي حسين بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

20- خليفة بوجادي، في السانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

21- ذهبية حمو الحاج، اللسانيات، التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

22- ريمون طحان، ألسنة العربية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1981.

23- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبتير، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، دار البيضاء، 1997.

24- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتب المصري، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط2، 2004.

25- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 1998.

26- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، الناشر مكتبة الخارجي، القاهرة، ط5.

27- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز ف علم المعاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003.

28- عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب الحديث، دولة الكويت، ط1، 1993.

29- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

30- علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، 2000.

31- أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، ج7.

32- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وآفنانها، دار الفرقان ، عمان، ط7، 2000.

33- القاسم الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1989 .

34- ماهر شعبان عبد الباري، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2010.

35- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، قاموس المحيط، مكتب التحقيق التراث في المؤسسة الرسالة، د ب، ط8، 2005، ص 381.

36- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية لنشر، تونس ، 1984، ج 15.

37- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات.

38- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، باب قصص دار المعارف، مصر.

39- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج 24، م2.

40- محمد قاضي وآخرون، معجم السرديات.

41- محمد محمود، تدريس الأدب الإستراتيجي القراءة والإقراء، منشورات دايداكتيكية، دار البيضاء، المغرب، 1993.

42- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الأحباء التراث العربي، ط1، 2001.

43- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، بيروت، ط1، 1996.

44- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005.

45- نخبه من العلماء، التفسير الميسر، مكتبة الملك، فهذا الوطني، مدنية، ط2، 2009.

46- أبي هلال العسكري، فوق اللغة، منشورات، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979.

47- أبي يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ت .ح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

48- يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، ط1، 2007.

- **المصادر والمراجع المترجمة:**

49- أن روبول وجاك، موسلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، تر سيف بن دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

- **المجلات:**

50- عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، مجلة الأثر، عدد خاص، أشغال الملتقي الدولي الثالث في تحليل الخطاب، تيزو وزو، الجزائر.

51- العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أستين وسورل، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

52- يسمينة عبد السلام، مجلة الخبر، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوسيني، جامعة بسكرة، الجزائر.

- **الموسوعات:**

53- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005.

- **المواقع الإلكترونية:**

Roman Jacobson : Linguistique et communication, page 107. -54


فهرس الموضوعات

العنوان ..... **رقم الصفحة**

مقدمة ..... **أ- ج**

الفصل الأول: ثنائية الحكاية والإنجاز في المعنى الحرفي **5- 32**

أولا: الحكاية في المعنى الحرفي **05**

1- تعريف الحكاية **08**

2- تعريف الخبر **09**

3- تعريف السرد **11**

4- تعريف القص **13**

5- تعريف التقرير **15**

6- تعريف التلفظ والملفوظ: **17**

7- تعريف النص **19**

ثانيا: الإنجاز في المعنى الحرفي **22**

1- تعريف الإنشاء **22**

2- تعريف الإنجاز..... **24**

3- تعريف التلفظ **27**

4- تعريف الخطاب **28**

الفصل الثاني: ثنائية الحكاية والإنجاز في المعنى التواصلي **34- 49**

أولا: الحكاية في المعنى التواصلي **34**

1- المعنى التواصلي في البلاغة العربية **34**

2- جملة ظاهرها حكاية وباطنها إنجاز **39**

3 - جملة ظاهرها حكاية وباطنها طلب **42**

ثانيا: الإنجاز في المعنى التواصلي **46**

1 - في ظاهره إنجاز وباطنه طلب **46**

2 - في ظاهره إنجاز وباطنه حكاية **47**

خاتمة **51- 52**

قائمة المصادر والمراجع **54- 58**

فهرس الموضوعات **60-61**